في فلسطين في السنوات الاخيرة للانهيار والزوال . ولكنهم ظلوا صابرين على المكاره ، متحملين للشدائد ، واضعين أعينهم على الهدف المنصوب ، إلى أن بلغوا ما بلغوه اليوم من قوة وبأس .

لا ! لست أعني بالدعوة إلى العمل البعيد المدى ، وإلى النظر إلى الحرب بكاملها ، بدلا من الاقتصار على المعركة الحاضرة — لست أعني بذلك مجرد الانتظار للحوادث تأخذ مجراها ، والاتكال على الظروف تتناسب وتتوافق . فما الاتكالية المتفائلة بالنجاح المحتم ، استناداً إلى الظروف والمناسبات ، خيراً من التشاؤم المطبق واليأس الشالّ الذي تثيره الهزيمة الآنية . ففي كليهما تهرّب من الواقع ، وتخلص واع أو غير واع من المسؤولية المترتبة والواجب المفروض .

وانما أعني بالنظر والعمل البعيدين ، الاهتمامَ والتدبير على نطاق واسع ولمدى طويل . أعني مجابهة الواقع كما هو ، وتعيين الغرض المطلوب ، ورسم الخطة المحكمة لبلوغه ، وتحقيق ذلك يوماً بعد يوم ، دون يأس أو أي نوع من أنواع التهرب . هذه هي الطريق التي رسمها التاريخ للظفر في الحروب ، ولبناء الدول وتكوين الامم .

*

عسى أن أكون في ما ذكرت آنفاً قد اصبت الحق في وصف نكبتنا الحاضرة في فلسطين ، فابنت عن خطورتها وفداحتها ، وشدتها علينا في حاضرنا ومستقبلنا . وعساي